احتفالية تأسيس دار قطرة حبر
قصة قصيره
اغتراب فتاة
ماهي عاطف

اغتراب فتاة

ماهي عاطف

اغتراب فتاة

إسم العمل:_ اغتراب فتاة

إسم الكاتب/ة:_ ماهي عاطف

نوع العمل:_ قصة قصيرة

التصميم الداخلي:_ دينا عبد الفتاح

تصميم الغلاف:_ سحر عبد الحميد

التنسيق والتعبئة:_ موطا عتمان

التدقيق:_ إيمان غزال

فريق العمل

دار قطرة حبر

ماهي عاطف

في محافظة المنيا المعروفة بـ"عروس الصعيد " وقفت تبتسم بإشراقٍ هادئ يُزين ملامحها، تستند بيدها فوق سور الشرفة الحديدي السميك صوت زقزقة العصافير لفت انتباهها لتنظر بجانبها فوجدت الكثير من العصافير بشرفتها باحثين عن الطعام والشراب مدت يدها بعُلبة بها بعض المياه والخس ثم توجهت نحو غرفة المعيشة لتجد شقيقها عثمان يعبث بهاتفه

باهتمام فالتقطته مسرعة، نظرت بهِ لتجده يبحث عن أشياء

قام بتحديدها لشرائها فقالت بدعابة محاولة كبح ضحكتها:

بقولك يا ثيمو بما إنك مضيع فلوسك على الأونلاين ما تكسب ثواب وتجبلي معاك لبس جديد للجامعة، علشان ماما مش طايقة نفسها ولا طيقاني الحمد لله من ساعة ما عرفت إن جامعتي هتكون في القاهرة.

رفع حاجبيه بدهشة فتحدث بتساؤل: هي علشان كده قالبة وشها من الصبح؟

أومأت له بعينيها، ثم جلست بجواره تريح ظهرها، إلا إنها بعد ثوانٍ انتفضت من جلستها حينما استمعت لصياح والديها بالخارج؛ لتبتسم بانتشاء عندما يحدث ضجيج بالمنزل!

تحركت مع شقيقها نحو الخارج لتلقي السلام، ثم جلست بعيدًا عن والدتها؛ ليكبح والدها ضحكته على هيئة زوجته الغاضبة.

تناولوا الطعام في صمت مريبٍ ليقطع هذا السكون "عامر"

موجهًا حديثه نحو زوجته بنبرةٍ تعقُّلية: عايز افهم يا رجاء أنتِ متضايقة ليه دلوقتي؟ احمدي ربنا إنها عدت من السنة دي على خير متنسيش إن دي تالت سنة ليها في ثانوية عامة.

ثم نظر نحو ابنته فوجدها مطأطأة رأسها أرضًا تبتلع غصّة مريرة من حديثه الذي يُشعرها بالفشل ليتابع بأسف: مش قصدي حاجة يا نغم يا بنتي، متزعليش منى.

حركت رأسها بالنفي قائلة بنبرةٍ مهزوزة: لأ يا بابا مفيش حاجة، حضرتك عندك حق. وآسفة إني دفعتك فلوس كتير السنين اللي فاتت.

لتتابع بمرارة نحو والدتها وعبراتها على مشارف الهطول من مقلتيها: لو رافضة يا ماما أكمل تعليم مفيش أي مشكلة، هقعد خالص طالما الموضوع مضايقك.

ثم هرولت نحو غرفتها، فلم تحتمل الصمود أكثر فانفجرت باكية

تساقطت عبراتها بغزارةٍ كأنها فقدت عزيزٌ للتو!!

بكت بقوةٍ فلِمَ لا؟

فحينما أصبح تحقّق الحلمُ على مشارف اجتيازه تلاشت الحياة سعادتها وباتت تُعيقها عن تحقيق أهدافها، التي تصبو إليها من حينٍ لآخر!!

هي لم تكُن فاشلة دراسيًا، بل كل شيء يأتي ضدها دومًا، حتى إنها لم تعي بالاستسلام واليأس بتاتًا لتصل لهدف معين أرادته منذ نعومة أظافرها.

انفتح الباب لتدلف والدتها ترمقها بشفقةٍ، ففي النهاية هي أم، كل شيء تُخبرها بهِ يكون حديثٍ مراوغ ويجعلها لا تيأس لا أكثر.

اقتربت منها لتجلس بجوارها فتحدثت بدعابة: مقولتليش يعني هننزل امتى نشتري لبس الجامعة؟

رمقتها بدهشةٍ، ثم عانقتها بسعادة وظلت تغدقها بالعديد من القبلات فابتعدت عنها قائلة بتساؤل: ماما هو أنا هروح الجامعة؟! من ورا قلبك صح؟

حركت رأسها بالنفي فصححت لها تفكيرها الخاطئ نحوها:

لأ يا نغم مش كده، كل الحكاية بس مجرد قلق عليكِ.

لمعت بعينيها الذعر من ابتعادها عنها لتقول برجاء: بس

علشان خاطري خلي بالك من نفسك، ومتنسيش إني واثقة فيكِ، فمتخيبيش نظرتي وثقتي اتفقنا؟

أومأت لها بلهفة، ثم أسرعت تُعانقها مرةً أخرى لتبتسم

لهـا والـدتها داعيـة الله بـأن لا يُصـيبها مكـروه ويحفظهـا حيثما ذهبت.

كانـت واقفـة فـي شـرفتها تطبـق جفونهـا لتسـتقبل النسـيم الـذي يهـب عليهـا، شـعرها الأسـود المُبلـل يتطـاير بتمـرد علـى أثـر ذلـك النسـيم وأيضًـا روبهـا الـذي يصـل إلـى أسـفل رُكبتيهـا بقليـل تتطـاير أطرافـه علـى أثـره، كانـت مُمسـكة بكتـاب تقـرأه بشغفٍ غير عابئة بنظرات جحيميه تخترق وقفتها تلك،

صـدع صـوت هاتفهـا لتزفـر بحنـق، ثـم التقطتـه لتُجيـب بـلا مُبالاة دون النظر لهويته: مين؟

تفـوه الأخـر بعصـبية مُفرطـة: اقفلـي الزفتـة اللـي مفتوحـة دي، وغوري ادخلي جوا متعمليش فيها مثقفة.

تحـدثت بتلعـثم وتـوجسٍ حينمـا أغلـق لـم يسـتمع لإجابـةٍ: مـ مراد.

أسـرعت بـإغلاق الشـرفة، ثـم هرولـت للـداخل ترتـدي فسـتان محتشـم بـاللون الأخضـر تاركـة العنـان لشـعرها يتطـاير بحرية خلفها،

نظرت نحو الكتاب بيأس فالآن يجب عليها الهبوط لأسفل لتُعاون والدتها في إعداد الطعام والانشغال عن القراءة المحببة لها في هذا الوقت.

هبطت لتجد والديها وشقيقها في الحديقة؛ لتذهب نحوهم، ألقت التحية، ثم جلست بجوار والدتها بتوجسٍ من نظرات شقيقها لها

ليجد فريد نظرات مراد المخترقة لابنته فرفع حاجبيه بدهشة قائلًا بتساؤل: انتوا متخانقين؟

لم تُجيبه فطأطأت رأسها أرضًا بخجل، بينما مراد تحدث بجمود: لأ يا بابا مفيش حاجة

ثم تابع باستفهام: حضرتوا الفطار يا ماما؟

حركت رأسها بالإيجاب، ثم غادروا نحو الطاولة فجاءت

ياسمين لتُغادر، فأسرع بإمساك يدها عنوةٍ قائلًا بخشونة: **أنا ما بحبش الحال المايل ده، فأتعدلي أحسن ليكِ.**

أومأت له على عجالة، ثم هرولت نحو والديها لتناول

الطعـــام فأســـرعت ياســـمين بلهفـــة مُردفـــة: بابـــا بقولـــك متعرفش سكن فاضي قريب من هنا؟

لم يرفع نظره نحوها ليُستطرد بتساؤل: علشان مين وليه؟

غمغمت بخفوت ترمق الجميع بنظرات خائفة من الرفض لحديثها: علشان نغم اللي اتصاحبت عليها من على الفيسبوك، التنسيق جابها القاهرة نفس جامعتي بس القسم مختلف، فكنت بسأل يعني لو في سكن قريب مني، علشان هي متعرفش حد هنا غيري.

رمقها بحيرة استحوذت عليه فقال بنبرةٍ هادئة: مش عارف والله يا بنتي، هي يعني ملقتش مكان تقعد فيه خالص؟

حركت رأسها بالنفي قائلة بنبرةٍ مهزوزة: لأ لسه

مدورتش، أنا يعني كنت بسألك علشان لو تعرف فزي ما قُلتلك إنها غريبة ومتعرفش حاجة هنا.

بتر حديثهم قول مراد المحتدم: هنسيب فطارنا ونتكلم في ست نغم وزفت؟ وبعدين تعرفيها منين علشان تثقي فيها

أوي كـده لدرجـة تروحـي تقابليهـا وش لـوش وتقعـد قريـب منك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة فتفوهت بتلعثم: مـ من السوشيال.

ألـتقط أشـيائه قبـل أن يُعقـب بحـدة مُشـيرًا بسـبابته: عـبط مـش عـايز، ولـو سـمعت السـيرة دي تـاني هقفلـك الأكونـت اللـي فرحانة بيه ده.

تحـدث بهـذا الحـديث ثـم غـادر دون التفـوه بكلمـاتٍ لاذعـة أخـرى، وجهـت نظرهـا نحـو والـديها بحنـق حينمـا وجـدتهما غيـر عـابئين بحـديثها؛ فعلمـت بـأن رأي شـقيقها هـو المتفـق عليه وحديثها لا يهم أحد.

انتهت من طعامها، ثم تسحبت ببطء كي تلتقي برفيقتها

نغم في الخارج دون إخبار أحد، فهي تعلم بأن العواقب

ستكون وخيمة إذا علم مراد، لكن لا يهم سوى المعاونة.

تطلعـت نحـو المكـان الـذي أخبرتهـا بـهِ فوجـدتها تجلـس بجـوار شـقيقها عثمـان، ركضـت نحـو تُعانقهـا بقـوةٍ فقـد

تعرفت عليها منذ ثلاثةِ أعوام، ولم تتحدث إليها سوى عبر حسابها الشخصي.

وها هي تراها لأولِ مرة؛ فدُهشت حينما علمت بأنها ستكون بذات الجامعة فأخبرتها بالمجيئ لتمكث معها

ابتعدت عنها مُردفة بسعادة: أنا مبسوطة بجد يا نغم إنك معايا في نفس الجامعة، وفي نفس البيت كمان.

ابتسمت نغم لها، فبتر حديثها شقيقها بتساؤل: ياسمين أنتِ متأكدة إن باباكي وافق إن نغم تقعد معاكِ؟

ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول بادعاء كاذب: طبعًا يا عثمان وافق، هيرفض ليه يعني طالما نفس الجامعة ونفس المحافظة؟ لولا بس أن رجله وجعاه كان زمانه خارج معايا يستقبلكم.

احتضنت نغم بسعادة مُتابعة بتهللٌ: متقلقش خالص

مفيش حد في البيت غيري أنا وبابا وماما وآنسة نغم ضيفتنا الجديدة.

ابتسم لهما ثم غادر إلى القاهرة، بعدما حذر شقيقته من تجنب الأفعال الطائشة، بينما ياسمين اصطحبتها إلى منزلها غير عابئة بفعلتها الشنيعة ومعرفة شقيقها بما فعلته للتو.

دلفت لتجد والديها يشاهدان التلفاز؛ فركضت نحوه هامسة له بخفوت: بالله عليك رد فعل مراد أنت تتحمله علشان خاطري.

أومأ لها على مضض، ثم ذهبت نحو نغم الخجولة من مكوثها هُنا لتقول بانشراح: دي بقى نغم صديقة السوشيال.

ابتسمت لها والدتها نورا قائلة بترحيب: نورتي يا حبيبتي.

_بنورك يا طنط.

تفوهت بنبرةٍ هادئة، ثم نظرت باستغراب حينما وجدت

والد ياسمين يقف بجوارها على قدميه، فلِمَ راوغت مع شقيقها من أجل مرضه إذًا!!

تحدثت هامسة بامتعاض لرفيقتها: ياسمين أنا محتاجة أكلم ماما دلوقتي وارتاح شوية.

أومأت لها، ثم استأذنت وصعدت لترى غرفتها التي أُعجبت كثيرًا بها، فكانت مزيج بين الأبيض والبنفسج، ذات شرفة واسعة،

ابتسمت بشدة حينما لمحت العديد من الأزهار بها فهي تحب الاعتناء بهم كثيرًا في الصباح عندما كانت بمنزلها.

التفتت ترمقها بضجر، فاستغربت ياسمين باستفسار: مالك يا نغم الأوضة مش عجباكي؟

حركت رأسها بالنفي مُخبرة إياها بغيظ: ياسمين أنتِ ليه كدبتي على عثمان وقُلتي إن عمو فريد رجله وجعاه؟

تحدثت ياسمين بتلعثم: مـ ما هو حط مرهم والحمد لله بقى كويس.

رفعت حاجبيها لها فردت بتحذير: لو كذبتي تاني مش هقعد دقيقة هنا، أنتِ عارفة إني بكره الكذب.

أومأت لها بلهفة، ثم استأذنت وذهبت نحو غرفتها فتحدثت بنبرةٍ شبه باكية: اومال لو عرفتي إني ليا أخ وجبتك من وراه هتعملي إيه؟

.....

عاد من عمله باكرًا على غير العادة، بوجه عابس نظرًا لمشاجرته مع ابن عمه لتحديد يوم زفافه دون علمهُ بهذا الأمر، فهو يعتبره كشقيق له فَلِمَ لم يُخبرهُ سوى الآن؟

وجد والده شاردًا فوق مقعده بالحديقة فجلس بجواره مُريحًا ظهره قائلًا بتساؤل: قاعد لوحدك ليه أومال فين ياسمين وماما؟

تنفس بعمق مُردفًا بنبرةٍ هادئة: نورا نايمة.

فأضاف بنبرةٍ مهزوزة: وياسمين مع صاحبتها فوق.

وقف في موضوعه قائلًا بعصبية: لوي الدراع دا مش بيمشي معايا يا بابا، أنا مش قُلت لأ وملهاش دعوة بيها.

بتر حديثه بصرامة: وطي صوتك يا مراد واتكلم باحترام، أنا أبوك، وبعدين أنا اللي قُلت لأختك تجيبها مفيش داعي تقعد في سكن والبيت فيه أوض كتير.

تفوه مراد بغضب سافر: ومش أي حد يقعد والسلام، هي تعرفها منين أصلًا علشان فجأة تيجي تقعد معانا؟

تحدث فريد بنبرةٍ تحذيرية وهو ينوي المغادرة: ملكش دعوة، هي قاعدة في بيتي وطول ما هي هنا مش عايزك تتكلم معاها ولا تزعلها بنظرة حتى.

رمق والده بغضب، ثم صعد صوب غرفة شقيقته يستشيط غيظًا منها لفعلتها

فتح الباب على مصراعيه؛ ليجدها تجلس على الأرض بجوار شقيقته تتفحص محتويات الحقيبة الخاصة بها، استحوذ عليه الشعور بالحرج لفعلته الحمقاء تلك.

ليُسرع بالخروج دون أن ينبث بكلمةٍ، بينما نغم رمقته بدهشة من هويته وجرأة أفعاله لتنظر نحو ياسمين الشاعرة بالخجل لفعل شقيقها فطأطأت رأسها أرضًا قائلة بخجل طفيف: معلش يا نغم خبيت عليكِ إني ليا أخ ومقولتش ليكِ طول التلات سنين دول.

رفعت رأسها ناظرة نحو عينيها مضيفة برجاء: ومش

معنـي إنـي خبيـت يبقـي متثقـيش فيـا، لأ والله مـش كـده لـو كنـت قُلـت ليـكِ ولعثمـان مكنـاش هنكـون قاعـدين مـع بعـض دلـوقتي، أنـا ملـيش أخـوات بنـات وربنـا اللـي عـالم أنـا بحبـك وبعتبـرك زي أختـي إزاي، ولـو حابـة تمشـي دلـوقتي مـش هلومك، براحتك.

ثـم وقفـت فـي موضـعها لتغـادر فقالـت نغـم بدعابـة: طـب تعـالي يـا حلـوة شـيلي الشـنطة نحطهـا فـوق الـدولاب، علشـان تقيلة مش هعرف أشيلها لوحدي.

ابتسـمت ياسـمين، ثـم ركضـت تعانقهـا فتحـدثت بنبـرةٍ تحذيريـة: هقعـد، بـس لـو الموقـف بتاعـه ده اتكـرر تـاني مـش هتلمحي طيفي لا هنا ولا في الجامعة حتى.

أومـأت لهـا بلهفـة، ثـم عاونتهـا علـى حمـل الحقائـب وهبطـت لأسفل كي تُعد لهم قهوة، فكمم شقيقها فمها مصطحبها

أومـأت لهـا بلهفـة، ثـم عاونتهـا علـى حمـل الحقائـب وهبطـت لأسـفل كـي تُعـد لهـم قهـوة، فكمـم شـقيقها فمهـا مصـطحبها إلى غرفته

رمقها بتحذير كي تتوقف عن الصراخ، فابتلعت ريقها بذعر، بينما هو تحدث بغموض: أول مرة تعملي حاجة صح من يوم ما اتولدتي.

ضيقت حاجبيها بعدم فهم ليتقول ببلاهة: يعني إيه؟

لكزها بخفةٍ قائلًا بدعابة: قولتي لي بقى صحبتك قاعدة قد إيه؟

أشارت بسبابتها بتحذير: اسمع بقي مش معني إنك الكبير يبقي تسوق فيها، لأ قلة أدب وتفكير زفت مش هسمح بيه، متنساش إنها ضيفة ولو عملت حاجة زعلتها أو زعلتنا يعني هقول لبابا أنت سامع؟

تحدث بعتاب زائف: كده برضو يا ياسو عايزة تقولي لبابا؟

أضاف ببراءة: ده أنا بسألك علشان كنت هقولك هاتيها

معانا تحضر فرح ابن عمك معاذ.

رفعت حاجبيها قائلة باقتضاب: كذاب، لسه متحددش

أصلًا.

رد بنفاذ صبر: والله اتحدد، ولسه مكلمني قالي إنه بعد خمسة عشر يوم.

أومأت له على مضض، ثم هبطت كما كانت ستفعل، بينما هو ابتسم بغموض وذهب نحو المرحاض يفكر في شيء ما.

جلست في مضجعها بحزن اشتاقت لصغيرتها ولم يمر على غيابها سوى ساعات فقط، بينما عثمان زفر بضيق فهو يحاول التريُث منذ مجيئه وإخبارها بأنها بخير وسعيدة بمرحلتها الجديدة، لكن لا جدوى.

اقترب منها قائلًا بتمهُل كي تصمت عن النحيب: يا ماما

والله نغم كويسة، مش معقولة كده هنفضل نعيط وننقطع عن الأكل، علشان خاطري كُلي أي حاجة.

حركت رأسها بالنفي لتجيب بنحيب: لأ، قلبي مش مطاوعني اقعد في حتة بنتي مش فيها.

زفر بيأس، ثم خرج ليتحدث مع شقيقته فلم يجد إجابةٍ فجلس في الخارج لثوانٍ.

ثم عاد يرسم ابتسامة زائفة على محياه قائلًا: أنا كلمت نغم، وهي الحمد لله كويسة بس نزلت تشتري حاجات مع ياسمين، وقالت لي اطمنك لحد ما ترجع وهتكلمك هي.

ليُضيف برجاء: اطمنتي كده؟ ممكن تأكلي بقى؟

أومأت له بلهفة، ثم جلست تتناول طعامها في صمت، بينما هو جلس ينتابه الذعر داعيًا الله بأن لا يُصيبها مكروه.

بعد مرور خمسة عشر يومًا، جلست فوق الفراش تحتضن صورةٍ تجمعها بعائلتها الصغيرة بحزن، لقد اشتاقت لهم كأنها بعيدة عنهم أعوامٍ وليس ثلاثةِ أيام فقط!

ابتسمت حينما تذكرت عثمان شقيقها الأكبر ورفيقها هو

ابتسمت حينما تذكرت عثمان شقيقها الأكبر ورفيقها هو من يعطيها القوة والصمود دومًا حينما يستحوذ عليها الخمول والحيرة يمدها بالحديث الإيجابيّ،

والدتها الحنون رجاء تعلم بأن الحديث الصارم دومًا لها غير حقيقي، فكلما استهانت بالمعاملة معها تكُون خاطئة من وجهة نظرها، انتظرت كثيرًا ووقفت بجوارها في مرحلة الثانوية العصيبة تلك،

والدها المُلهم عامر يحتويها دومًا كلما راودها الفشل وشعرت بالعجز نحو فعل العديد من الانجازات التي باتت تحلمُ بها منذ الصغر، يخطو خطوةٍ تلو الأخرى معها كي يستطيع ارتسام بسمة فوق شفتيها.

استفاقت من اضطراب دواخلها على صوت طرقات الباب لتسمح للطارق بالدخول فكانت نورا التي ابتسمت لها بحنان

فتلاشت الابتسامة قائلة بلوم: كده برضو يا نغم قاعدة فوق لوحدك، مش قُلت لك تنزلي تقعدي معانا علشان

متحسيش بالوحدة.

تحدثت نغم بنبرةٍ خافتة: ملقتش حد تحت يا طنط، فشربت القهوة مع عمو فريد وطلعت.

بآسفٍ أجابت: آسفة يا حبيبتي، بس كنت بجيب هدية لأم العريس.

لتتابع بخفوت ودعابة: أصل راكبها عفريت وممكن تدعي عليا لو معبرتهاش بأي حاجة.

قهقهت بشدة على حديثها، ليخفق قلب الذي استمع لحديثهم سويًا وهو يصعد الدرج مقتربًا منهم قائلًا بدعابة: اللهم صلِّ على النبي إيه القمر اللي بضيحك ده؟

شعرت بالخجل من حديثه لتنكمش على ذاتها، بينما والدته لكزته بخفة قائلة بغيظ مكتوم: عليه أفضل الصلاة والسلام بس يا واد بلاش تعاكسها قدامي.

أرسل لها غمزةٍ عابثة فتحدث بمشاكسة: طب امشي يا ماما، وهعاكسها من وراكي عادي جدًا.

امسكت بيده عنوةٍ، ثم اصطحبته لغرفته كي يكف عن إخجالها والحديث معها، ثم عادت إليها قائلة على عجالة: نغوم هنزل دلوقتي اجهز يا حبيبتي عقبال ما تخلصي.

تفوهت بنبرةٍ مهزوزة: هو أنا لازم أحضر؟ أصل

بصراحة حاسة نفسي عزول ومش هاخد راحتي.

حركت رأسها بالنفي لتجيب بصرامة: مفيش اعتراض على أي حاجة فريد يقولها، طالما اتكلم في الحوار يبقى خلاص انسي العصيان.

ابتسمت نغم، ثم دلفت لغرفتها بعدما غادرت نورا فجاءت لتجلس كما كانت لتستمع لصوت طرقات الباب مرةً أخرى فنفخت في سأم، لكنها أطلقت شهقة حينما وجدته مراد لتبتلع ريقها قائلًة بتلعثم: أ أنت بتعمل إيه؟

أشار لها بأن تصمت فتحدث بخفوت جعلها ترمقه بدهشة:

وطي صوتك لحد يسمعني.

ليتابع بتساؤل: هتروحي الفرح معانا صح؟

أومأت له بعينيها يصاحبها الخجل، ليبتسم قائلًا بنبرةٍ جعلتها تذوب من حديثه: أنا بقى مكنتش هروح، بس هروح علشانك.

ليتابع بعشقٍ جارف: ألبسي الفستان الأحمر اللي جبتهولك امبارح علشان تخيلتك بيه أوي.

وضعت يدها فوق فمها بدهشة لتقول بارتجافة: هـ هو أنت اللي جبته؟ أومال ياسمين ليه قالت إنه هدية منها؟

ابتسم قائلًا بنبرةٍ هائمة: أنا اللي جبته ليكِ علشان عرفت إن عيد ميلادك كان قبل ما تيجي هنا بأسبوعين، وأنا مكنتش أعرفك فعلشان كده جبته وحابب متكسفنيش وتلبسيه النهارده ممكن؟

صمتت لثوانٍ لا تعرف بم تُجيبه، لكن أمام عينيه ورجاءه لها أذعنت لقراره المحتوم بالموافقة، وركضت لتتفحصه مرةً أخرى فحينما علمت بأنه من جلبه استحوذ عليها شعورٌ لم تتعرف عليه من قبل سوى أمامه ومعه الآن!!

ارتدت الفستان لترمق ذاتها بثقة وإعجاب لهيئتها الفاتنة،

فكان بلون الأحمر يصل لقدميها بهِ فصوص تلمع بشدة عند منطقة الخصر وضعت مساحيق تجميل بسيطة

زادت من جمالها، تركت العنان لشعرها الحريري

يتطاير خلفها بحرية كصاحبته.

هبطت الدرج لتجد الجميع ينتظرها، خاصةً هو، وقف يرمقها بنظرات عاشقة لكيانها، لا يعلم متى وماذا حدث ليقع بعشقها في تلك الفترة البسيطة التي مكثت بها معهم، لكنه أصبح متيمًا بها عشقًا.

اقتربت منها ياسمين قائلة بدعابة: ايوه يا عم سرقتي مني الجو بجمالك.

تفوهت بنبرةٍ هادئة: الجمال مش الشكل واللبس يا حبيبتي، كفاية روحك وعفويتك يا ياسمين.

عانقتها، ثم ابتعدت عنها ليصعدوا للسيارة في صمت مريبٍ أصر مراد على شقيقته لتخبرها بالجلوس بالمنتصف بينهما، فدُهشت نغم من حديثه شاعرة برغبةٍ في البكاء من هذا الموقف المخجل بشدة لها.

جلست نغم بالمنتصف كما أخبرتها صديقتها ليهمس لها مراد بخفوت: عجبك الفستان؟

أومأت له بخجل، ثم أضاف بنبرةٍ هادئة: وأنا كمان

عجبني أوي وطلع زي ما تخيلته عليكِ زي القمر يا نغم.

تفوهت بتلعثم وضيق: بـ بس بقى، أنا مش بحب الكلام ده لو سمحت احترم نفسك.

قهقه بخفوت، ثم صمت طيلة الوقت، لم يتحدث إليها بتاتًا مما جعل الارتباك يمحى قليلًا لديها.

بعد نصف ساعةٍ دلفوا إلى حفل الزفاف وقفت نغم بزاوية بعيدة عنهم تشعر بالخجل من الأعيُن التي ترمقها فعنوةٍ أخذتها نورا معها لتجلس بجوارها.

أصر أيضًا مراد على الجلوس بجوارها وسط غضبها، فلم يُعجبها بتاتًا ما يفعله من حديثٍ، يخترق حصونها يجعلها تُحلق كالفراشة ونظرات ثاقبة عن كثب ترتشف من ملامحها الهادئة تجعلها ترتبك بشدة.

تحدث بخفوت تحت نظراتها المشتعلة: بلاش توتر أنتِ دلوقتي يعتبر من عيلتنا فبلاش تفضلي مكسوفة كده

تفوهت باهتياج: أنا لو مكسوفة فهيكون منك وبسبب عمايلك، كفاية لو سمحت كلام معايا ونظراتك دي أنا

مش هكمل معاكم في البيت، من بكرة همشي.

نشب الذعر مخالبه من تهديدها ليسرع بقوله: لأ خلاص، أنا آسف والله، هقوم من هنا مش هتشوفيني غير لما نروح البيت.

ابتعد عنها بعدما تحدث بهذا الحديث، بينما هي كبحت ابتسامتها من اهتزاز نبرته وشحوب وجهه حينما علم بمغادرتها المنزل والمكوث بعيدًا.

استيقظت على رنين هاتفها يصدح بالأرجاء لتعتدل في جلستها، وجدت والدها يُهاتفها فزفرت بحنق، ثم تركت الهاتف موضعه وذهبت نحو المرحاض لتغتسل وتؤدي فريضتها،

انتهت من وِردها اليومي وقامت بمُهاتفته فتحدثت

بخفوت: السلام عليكم ورحمة الله.

رد بنبرةٍ هادئة: وعليكم السلام، أخبارك إيه يا نغم؟

غمغمت بامتعاض: الحمد لله، كويسة.

تحدث بنبرةٍ جامدة: نغم ارجعي علشان ابن خالتك جيه من السفر وعايز الخطوبة تكون رسمي.

شهقت بخفة قائلة بارتباك: بس أنا مش بحبه، وهو زي أخويا.

أجاب بعصبية مفرطة: لأ مش أخوكي، ومتنسيش إنك مكتوبة ليه من يوم ما اتولدتي.

نفخت في سأم قائلة بحنق: يا بابا أنا..

بتر حديثها بقوةٍ جعلتها ترغب في البكاء: نغم هي كلمة أخيرة، بكرة الصبح تكوني في المنيا مش كل حاجة هقولك عليها حاضر، كفاية موافقتي بأنك قاعدة بمحافظة تانية.

مُضيفًا بتحذير: يا ريت تسمعي الكلام، علشان مندمش في لحظة إني طاوعتك في حاجة الكل رافضها.

بنبرةٍ مهزوزة أجابت: حاضر يا بابا هاجي بكرة.

ابتسم قائلًا بارتياح: أيوه كده، هي دي حبيبة بابا، مع

السلامة يا حبيبتي.

أغلقت الهاتف، ثم ارتمت فوق الفراش باكية بقوةٍ، لِمَ الجميع يقف عائق أمامها؟

هي ترغب بتحقّيق الأحلام أولًا، ثم التفكير فيما بعد بأمر الزواج

فجأةً استحوذ عليها الشعور بترك كل شيء ومغادرة تلك الحياة المريرة البائسة

بعد نصف ساعةٍ هبطت بعدما استمعت لنداء رفيقتها لتناول الطعام، جلست صامتة شاردة في اللا شيء وسط استغراب الجميع لتستفيق على يد نورا التي ربتت بحنو فوق خاصتها قائلة بتساؤل: مالك يا نغوم مش بتأكلي ليه يا حبيبتي؟

ردت بنبرةٍ خافتة بحديثٍ جعلت قلب الذي يجلس أمامها ينشطر إلى شطرين: أنا هرجع المنيا بعد كام ساعة.

تساءلت ياسمين بتوجسٍ: في حاجة ولا إيه؟

حركت رأسها بالنفي مُجيبة باقتضاب: ابن خالتي رجع من السفر وعايز نكمل خطوبتنا رسمي.

ارتسم فوق شفتيه ابتسامة وجع ليقول بمرارة: أنتِ مخطوبة؟

لمحت بعينيه الكثير من الحديث الخفي يرمقها بعتاب جَليٍ فوق قسماته، لقد عشقها وانتهى الأمر بمغادرتها لشخصٌ آخر سواه!

لم تحتمل نظراته، فهرولت لأعلى صوب غرفتها تفرغ طاقتها بالبكاء كلما عجزت عن الحديث، ظلت تضرب بقبضتها فوق الفراش تبكي بهيسترية لعدم قدرتها على الرفض دومًا تذعن بالرأي دون وجه اعتراض، لكن أين هي؟

استمعت لصوت الباب، لتمسح عبراتها سامحة للطارق

بالدخول فوجدته مراد اقترب منها قائلًا بعتاب: طالما مخطوبة علقتي قلبي بيكِ ليه؟

طأطأت رأسها أرضًا قائلة بتحشرج حزين: لو سمحت أنا

مش حابة اتكلم، اخرج برا علشان أرتب شنطتي.

جذبها من رسغها بقوة ليقول باحتدام: مش قبل ما تردي عليا.

تابع بغضب عارم: أنتِ خلتيني يوم ما أحس صح رايحة تمشي كأنك معملتيش حاجة؟ طب وأنا مفكرتيش فيا؟

جذبت يدها بصعوبة لتردف بعصبية: حبك ده غلط أصلًا، أنا كان هيجي يوم وهمشي يعني خلاص كل إحساسك ده ملهوش لازمة،

افهم بقي أنا دلوقتي في حُكم المخطوبة.

قهقه بقوة كأنه فقد عقله من حديثها ورد بنبرةٍ ساخرة: ملهوش لازمة؟ عندك حق ما هو كسر القلب بالساهل عند الستات.

تحدث بهذا الحديث، ثم غادر دون أن ينبث بكلمةٍ أخرى، تاركًا إياها تنظر نحو طيفه بوجع وقلب مهترئ هي الأخرى تشعر بمرارة فقدانه وضياع حبها الذي بات كالسُم منتشرًا في أشلاء قلبها!!

لم تنكر حقيقة ضربات قلبها الشغوفة حينما تلمح طيفه وحديثه المشاكس لها منذ مجيئها، مُدركة حبه لها بعدما أصبح الأمر معقدًا بالفعل.

ظلت قرابة أسبوع تجلس بغرفتها حبيسة، منقطعة عن تناول الطعام، تدعو بأن تنتهي حياتها التعيسة تلك، تحاوطها الذكريات المؤلمة من جميع الجهات وتتناثر في الهواء كتراب هبت عاصفة قوية فقربته، ومن جهة ذكرياتها السعيدة وعشقها له الذي يشعل النيران في صدرها وتآكلها حتى النهاية!

لم يُعجبها ما يحدث بتاتًا لشعورِها بأنها أصبحت كالدمية يُحركها الجميع كما يشاء غير عابئين بها!

أغمضت عينيها بألم وهي تهمس بصوتٍ باكي يقطع نياط القلوب

ما أن وقفت على قدميها الرخوتين، حتى ترنحت في وقفتها لتسرع بالجلوس فوق فراشها مرةً أخرى،

بعد ثوانٍ استعادت اتزانها لتذهب نحو المرحاض كي

تُبدل ثيابها، ارتسم فوق شفتيها ابتسامة ساخرة حينما استمعت لصوت الزغاريد بالخارج.

انتهت من لمساتها الأخيرة، ثم جاءت لتغادر فلمحت بعينيها الفستان الذي أهداهُ لها في حفل زفاف ابن عمه، لتسترجع بمخيلتها حديثه الهائم لها ولجمالها الفاتن، فابتسمت بخجل مما جعل الحمرة تسرّى بوجنتيها مُبتلعة غصّة مريرة في حلقها كلما تذكرت بأنه لم يَعُد يحق لها التفكير بهِ!

خرجت بخجل يُصاحبه ارتباك شديد حينما وجدت الأعيُن تطلع نحوها، نظرات خالد لها جعلتها تبتلع ريقها بتوتر بالغ متوجسةٍ من هذه الجلسة

_السلام عليكم ورحمة الله

نظرت نحو الصوت لتطلق شهقة حينما لمحته!!

اقسمت بأنه هُنا معها، هل جاء ليجعل تلك الزيجة لا تكتمل بسواه؟

بينما هو جحظت عيناه وكأن أحدهم هوى بمطرقة

حديدية فوق قلبه، الذي اجتاحه ألم هائل فأنهار عالمه وأصبح كجسد ميت،

شعر بوخزةٍ مؤلمةٍ شقت صدره لنصفين حينما علم بأنها عروس رفيقه!!

استفاق على نداء خالد، جعله يتنفس بعمق محاولًا نسيان وجودها، عانقَ رفيقه، ثم جلس يقبض فوق يده بشدة أصبحت عروقه بارزة من شدة الضغط.

ابتسم حينما ربت خالد فوق ذراعه قائلًا بابتسامة: ده مراد صاحبي من القاهرة، وصمم إنه يجي علشان يقرأ الفاتحة معانا.

تحدث أخيرًا بنبرةٍ هادئة: كان لازم اجي يا خالد، أنت أخويا.

ابتسم له بامتنان، ثم جلسوا يتحدثون في الأمور الخاصة بتحضيرات الخطوبة للأسبوع القادم،

بينما نغم لم تستمع لأي شيء سوى ضربات قلبها النابضة بقوة،

أنفاسها التي تزداد لم تعي بأي شيء سوى جلوسه أمامها،

ينشطر قلبها من هيئته الباردة كالثلج كأن عشقه لها تبخر ولم يكُن ذات قيمة!

ابتسمت بمجاملة لوالدته حينما جلست بجوارها، فأخذت بيدها ووضعتها بين قبضة ابنها داعية الله بأن يرزقهم السعادة

نظر مراد نحوهم بمرارة، يرغب بالصراخ والتوقف عن تكملة هذه الزيجة لكنه بالنهاية رفيقه المقرب!

تفوه والدها بحماس جَليٍ في نبرته: بإذن الله على خير يبقى الخطوبة بعد أربع أيام.

تجمعت الدموع في عينيها محاولةٍ أن تبدو طبيعية، لكن لا جدوى فلم تحتمل بعد، فهرولت للداخل وسط دهشة الجميع

شعر والدها بالحرج ليقوم من مجلسه كي يدلف لها، لكن خالد رفض وأراد هو الدخول ليتحدث معها بشيءٍ ما.

طــرق البــاب لتــأذن لــه، ولــج ليجــدها تمســح عبراتهــا المتســاقطة بغــزارةٍ فــوق وجنتيهــا فتــنفس بعمــق قــائلًا بدعابة: ما هو أنا هعيط زيك كده فاهدي يا ست.

فتابع بنبرةٍ خافتة: أقولك حاجة.

أومــأت لــه بعينيهــا ليســتطرد بجديــة: أنــا كمــان زيــك مــش حابب أكمل الخطوبة.

رفعت حاجبيها له قائلة بتساؤل: طب وليه مكمل؟

أضــافت بوجــع: أنــت الراجــل يحــق ليــك القبــول والــرفض، إنمــا أنــا بنــت اتحكــم عليهــا أحلامهــا متــتحققش، علشــان أبوهــا اجبرها على كده.

ربــت فــوق ذراعهــا بحنــو أخــوي بمشاكســة أجــاب: يعنــي لــو مراد العريس هيكون نفس الكلام؟

أطلقــت شــهقة ذعــر مُبتلعــة ريقهــا بتــوتر بــالغ مُردفــة بتلعــثم: مـ مراد مين

لكزها بخفة قائلًا بغيظ: مبحبش اللي بيستعبطني، مراد

صاحبي اللي قاعد برا ده.

صـــمتت لا تســـتطيع الإجابـــة فامســـكها مـــن رســـغها ردًا بجدية:

تعالي معايا.

خرجت معه غير مُدركة بما يخفيه من حديثٍ غامض،

جعلها تجلس بجوار مراد تحت صدمة الجميع من فعلته.

ليبتـر دهشـتهم بقولـه الـرزين: دايمًـا يـا بابـا بتقـولي لمـا الحاجـة اللـي مـش ليـك بتعرفهـا لمـا تكـون هـي مـش عـايزاك ومش حساك تنفع ليها؛ فعلشان كده أنا جاي

أقول حاجة يمكن الكل كان عارفها بس عامل نفسه

مش شايف.

ليتـابع بنبـرةٍ جـادة: أنـا ونغـم علاقتنـا محكـوم عليهـا بالفشـل، مفيش تبادل مشاعر ولا أي حاجة بينا غير القرابة يعتبر،

فأنـا بعفيهـا مـن الكـلام وبـتكلم باسـمها واسـمي، نغـم اختـارت هي عايزة إيه، ونصيبها كمان اختارها.

أمسك بيدها جعلها تحاوط قبضة مراد؛ فاستطرد بابتسامة:

عمو عامر أنا عايزك توافق على خطوبة نغم ومراد، هما بيحبوا بعض نظراتهم لبعض كفيلة تسلمها ليه من غير خوف

بتر حديثه والدته بغضب سافر: أنت بتقول إيه؟ أنت اتجننت يا خالد؟! مش ده صاحبك؟

زفر بحنق قائلًا بغيظ: ماما لو سمحتي استني شوية.

ثم تابع بدعابة: لو ليا عندك خاطر توافق يا عمو، مش

فاهم مين اللي قال إننا لبعض أيام ما كنا صغرين؟ شوفتوا الببرونة بتاعتنا متشابهة فقُلتوا خلاص نجوزهم لبعض؟

قهقه الجميع، ثم همس لرفيقه بغيظ مكتوم: مش هعتب عليك علشان طول عمرك كده من صغرنا كتوم وقفل.

تحدثت نغم بخفوت: متقولش عليه قفل.

قهقه برجولة مُغمغمًا بدعابة: كان فين صوتك من شوية يا جبانة والدفاع عن حبك، ولا بتاكل القطة لسانك قدام أبوكي بس.

احتل الجمود وجه عامر فقال بتساؤل: طب وإيه ظروف سيادتك؟ وتعرفها منين أصلًا؟

حمحم ليخرج صوته القوي: أنا أخو ياسمين صاحبتها.

رفع عثمان حاجبيه ليقترب منه هامسًا: وكنت قاعد في البيت معاها؟

تحدث مراد بتوجسٍ: آه الحقيقة.

_ده أنت وهي يومكم أسود.

وضع خالد يده فوق فمه ليقول بنبرةٍ خافتة: أبوس إيدك اسكت دلوقتي، الوضع مش متحمل.

رمقه عثمان شزرًا، ثم جلس ولم يُعقب؛ فتنفس مراد بعمق

فتابع برجاء: عمو عامر والله بحبها ومستعد أجيب أهلي

واجي بكرة كمان لو حابب، بس بالله عليك ما تروح لغيري.

ابتسم له قائلًا بدعابة: حبيت جراءتك فعلشان كده هوافق، بس مش لأجلك ده لأجل ابتسامة نغم اللي مش مبيناها ليا وفاكرة أبوها عبيط.

ابتسمت بسعادة، ثم هرولت نحوه لتعانقه بقوةٍ فقد استجابت إحدى دعواتها،

اقترب مراد هامسًا لها بتهللٌ: أنا أسعد واحد النهارده.

ليتابع بمشاكسة: بس مقولتيش ليه إنك دايبة فيا زي ما أنا دايب؟

بتلعثم وخجل أجابت: أ أنا هروح أشوف ماما.

ثم هرولت إلى الداخل بخجل شديد، ثم وقف هو في مجلسه صائحًا غير عابئ بأحد: بحبك يا نغم.

تمت بحمد الله.